أزمة العلاقات الدولية في المنظومة العربية الإفريقية
إشكالية الدولة أم تناقضات التنظيم الدولي؟

د. جاسم محمد زكريا
قسم القانون الدولي
كلية الحقوق
جامعة دمشق

الملخص

يعود الوجود العربي في القارة الإفريقية إلى عهودٍ قديمةٍ؛ وتوجد نظريات عديدة عن وصول العرب إلى إفريقية؛ وذلك بحسب الرؤية التي يراد منها تعريف العربي؛ كما أن مفهوم الأبعاد الإنسانية في العلاقات الدولية يعد هو الآخر مفهوماً غامضاً؛ لأن تفسيره يفتقر إلى اتفاق في الفقه الغربي أو القانون الدولي؛ وخاصةً إذا ما تعلق الأمر بالإنسان العربي والإفريقي.

ومما لاشك فيه أن العلاقات الدولية – ولاسيما – علاقات الجوار لا تسير دوماً مسار الأماني؛ لأنها معنية بصيانة المصالح؛ فإذا ما غابت الأخلاق والقيم تبدلت الأحوال؛ واستبدلت الكراهية بالمودة.

نعم، لقد نجح الغرب في تخريب العلاقات العربية الإفريقية؛ ووصلت إلى حد القطيعة والخصومة والعداء؛ لأن التعاون العربي الإفريقي بقي معلقاً في هواء المزاج السياسي للنظم الحاكمة عربياً وإفريقياً، وهو مزاج متقلب لا قرار له في ظل غياب رؤية محددة تحكم آفاق التعاون وتواجه التحديات.

من أجل ذلك؛ لابد من تدابير عملية " لا شعاراتٍ وأمانٍ وأقوال"؛ لبناء فضاءٍ إقليمي جديدٍ يستهدف خير الأرض وكرامة الإنسان؛ ويبدأ بتنمية مدن التماس ثقافياً واقتصادياً وإنسانياً؛ وزيادة الدعم المالي المباشر بسخاءٍ حقيقي؛ يجعل المقارنة بالمعونة الغربية مجديةً، ومن ثم إعادة بناء روابط التاريخ وإحياء أواصر القربى؛ ذلك كلّه في إطارٍ إنساني قوامه مكانة الجار وقيم الجوار...

مقدمة:

تميزت العلاقات العربية الإفريقية بالعمق والتنوع والثراء؛ وشكلت منظومةً متداخلةً على نحوٍ مأثور في التطور التاريخي للعلاقات الدولية؛ تجلت في محطات مهمة، وفي مواقف عدة وشخوص كثر؛ بدايةً بالمشتركات الوثنية؛ ثم بالانتشار المتبادل للمسيحية واليهودية، ومع مجيء الإسلام بنيت علاقات دولية راقية؛ عبرت عن الاحترام والتسامح والعمق الإنساني العظيم للحضارة العربية.

ولكن الأيام دول؛ والدول العربية والإفريقية الحديثة ولدت من رحم الاستعمار؛ ولذلك اتسمت علاقاتها بالقطيعة مع الماضي البعيد والتنكر لما هو قريب؛ بل القفز على حقائق التاريخ والجغرافية والواقع الإقليمي وتنظيماته على علاقاتها. وظل السؤال: لماذا لم تنجح بلداننا العربية وجوارنا الإفريقي في فك الارتباط مع المستعمر السابق؟ لماذا أخفقت في تحقيق الاستقلال الأمثل لشعوبها؛ ولماذا أخفقت في بناء منظومة حقوق الإنسان الذي ظل أكثر الحاضرين غياباً؟

لا غرو أن العلاقات الدولية – ولاسيما – علاقات الجوار بين الشعوب والأمم لا تسير دوماً مسار الأماني؛ لأنها معنية بصيانة المصالح؛ فإذا ما غابت الأخلاق والقيم تبدلت الأحوال؛ واستبدلت الكراهية بالمودة، والضغينة بالتسامح، والعداوة والدمار بذمم الحمى والجوار، كذلك كانت علاقات العرب بجارهم الإفريقي عندما تضافرت عوامل عدة؛ تسلل منها جار بعيد ((أوربا)) فأذكى أوار العداوة والبغضاء، وحمل العرب أوزار مطامعه وأرزاء مطامحه، وشرع الأبواب لقادمٍ خطيرٍ ((اليهود))؛ فوقعت المنظومة الإقليمية العربية الإفريقية ضحية الانتقائية حيناً، والبراغماتية السياسية حيناً آخر، وغدت العلاقات الدولية – فيما بين مكوناتها - عاطلة ومتناقضة داخلياً؛ وتركها عرضةً للاختراق الإقليمي والدولي وأوجد بيئةً ملائمةً لإعادة إنتاج الاستعمار...

من أجل ذلك؛ بات من الضروري ـ والحالة هذه ـ أن يمعن العرب وجوارهم الإفريقي؛ بالتفكير جدياً في التغلب على التحديات التي تعوق تنمية علاقاتهم الدولية؛ وأن تُعرفَ جهودهم للدفع قدماً باتجاه تكامل البنيان الإقليمي للمنظومة العربية الإفريقية؛ بما يكفل لها مكانةٍ حقيقيةٍ تنقلها من ضباب الهوامش في التنظيم الدولي إلى قلبه؛ عبر بناء دولة القانون واحترام حقوق الإنسان ... وذلك بالوقوف على مواطن الإخفاق؛ والإشارة إلى بواطن الخلل؛ ومن ثم تشخيص العلاج وذلك هو الهم والمسؤولية والاستحقاق؛ وإنما هي محاولةٌ وخطوةٌ واجتهاد ترجو هذه الدراسة تحقيقه في المبحثين الآتيين:

المبحث الأول: مرتكزات المنظومة العربية الإفريقية وأثرها في علاقاتها البينية.

المبحث الثاني: أثر البيئة الدولية في أزمة المنظومة العربية الإفريقية.

المبحث الأول

مرتكزات المنظومة العربية الإفريقية وأثرها في علاقاتها البينية:

ويعود الوجود العربي في القارة الإفريقية إلى عهودٍ سحيقةٍ في القدم؛ لا تعرف على وجه الدقة؛ فالحضور العربي القديم في إفريقية لا يوجد له تاريخ مدون؛ ولكن من الثابت أن الوصول العسكري والسياسي للدولة العربية الإسلامية في الحقب الأولى الثلاث الراشدي –والأموي- والعباسي كان ضعيفاً، ولكن التواصل المدني كان حاضراً بقوةٍ؛ مع انتشارٍ هادئ ومستمر للإسلام؛ وتوجد نظريات عديدة عن الوصول الأول للعرب إلى إفريقية؛ وذلك بحسب الرؤية التي يراد منها تحديد مفهوم العربي فبعضهم يمتد بها إلى وصول الأمازيغ الأوائل، والمصريين القدامى وأسلافهم؛ بحسبانهم أصل العنصر العربي في شمال القارة الإفريقية؛ في حين يقصرها بعضهم على مرحلة متأخرة جداً؛ وبين الرؤيتين توجد آراء مختلفة[1]؛ بيد أن المرتكز الأهم في هذا الأمر؛ أن التفوق العددي لسكان إفريقية المحليين قد أنهي بمجيء العرب؛ كما أن تفوقهم الأيديولوجي أنهي بمجيء الإسلام؛[2] وهذا ما عرضناه – بإيجاز – في المطالب الثلاثة الآتية:

1 - لمزيدٍ من التفصيل؛ انظر: عبد العزيز الثعالبي، الإمبراطوريات الإسلامية بغرب إفريقية من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، جمع وتحقيق د. أحمد بن ميلاد و محمد إدريس، تقديم ومراجعة: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، 1410هـ 1990م، ص 29 وما بعدها. د. جمال زكريا قاسم، الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1416هـ 1996م، الطبعة الثانية، ص 59. د. عبد ا عبد الرازق إبراهيم ود. شوقي الجمل، تاريخ المسلمين في إفريقية ومشكلاتهم، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1996م، ص 115.

2 - لمزيدٍ من التفصيل؛ انظر: د. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام،الجزء الثاني، الطبعة الثانية ـ طبع بإسهام من جامعة بغداد، 1413 هـ 1992م، ص 384 وما بعدها.

3 - كانت أوامر الإسلام صارمةً في هذا الميدان في النص الشرعي أو الأمر السياسي أو القانوني المنفذ له؛ ومن أهمها وصية أبي بكر الصديق – رضي ا عنه - لأسامة بن زيد – رضي ا عنه - عندما بعثه في مستهل خلافته على رأس حملة إلى مشارف الشام، إذْ أوصاه ((لا تخونوا، ولا تغدروا، ولا تغلوا، ولاتمثّلوا، ولا تقتلوا طفلاً، ولا شيخاً كبيراً، ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بـقرة ولا بعيراً، وسوف تمرون بأقوام فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم إليه ...)). هل قرأ أحد في التاريخ الإنساني أن ملكاً أوصى رجاله بمثل هذه الوصية؟ انظر: د. عادل زيتون، الفتوحات العربية الإسلامية: قراءة تحليلية، مجلة العربي، العدد 516، تشرين الثاني/ نوفمبر 2001، ص84.

المطلب الأول

الوجود التاريخي للعرب في إفريقية

أولاً- الفتوحات الإسلامية وإفريقية:

تميزت العلاقات العربية الإفريقية في حقبة ما قبل الإسلام بالمشتركات الوثنية؛ ثم بالانتشار المتبادل للديانات السماوية الأولى المسيحية واليهودية، ولعل العلاقات العربية مع شرق إفريقية تجلت في محطات مهمة، وفي مواقف عدة وشخوص أو أشخاص كثر يذكرون في التاريخ؛ وحتى في السير الشعبية مثل سيف بن ذي يزن... ولكن أهمها على الإطلاق ـ الغزو الحبشي لجنوب الجزيرة العربية؛ ومحاولة قائده أبرهة لاحتلال مكة وهدم الكعبة في عام الفيل 570م. وظل للوجود الإفريقي (الحبشي) ـ في أرض اليمن ـ أثره ومداه؛ إذْ واجهه بعد حين غزو فارسي وظلا في سجالٍ حتى مجيء الإسلام؛ حيث أقيمت علاقات سياسية ودولية راقية؛ تعمقتْ مع الفتوحات الإسلامية.[2] فقد احترم الفاتحون المسلمون عقائد سكان البلاد المفتوحة، وظل التسامح الديني من أبرز سمات الفتوحات الإسلامية، ولم يذكر التاريخ أن المسلمين اضطهدوا أحداً، بل منحوا البلاد أماناً إنسانياً واطمئناناً روحياً[3]، ولم يفرضوا الإسلام على أحد، لأن الاضطهاد الديني يخالف مبادئ الإسلام، والقرآن الكريم نص صراحة على أنه ((لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ)) (256).

ولذلك نجد أن انتشار الإسلام في هذه المناطق إنما جاء على أساس التواصل المدني للتجار العرب والمسلمين الذي أسهم في نشر الإسلام وترسيخه؛ في معظم أقاليم شرق إفريقية التي أصبحت لا تدين بالإسلام وحسب؛ وإنما تتكلم العربية وتحكم من قبل العرب، إلى ما بعد قدوم الغزو الغربي إلى شواطئ إفريقية؛ بل ذوبان بعض الأقاليم العربية (مثل جزيرة زنجبار) في الكيان الإفريقي؛ ولكن هذا

---

2 - لمزيدٍ من التفصيل؛ انظر: د. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام،الجزء الثاني، الطبعة الثانية ـ طبع بإسهام من جامعة بغداد، 1413 هـ 1992م، ص 384 وما بعدها.

3 - كانت أوامر الإسلام صارمةً في هذا الميدان في النص الشرعي أو الأمر السياسي أو القانوني المنفذ له؛ ومن أهمها وصية أبي بكر الصديق **– رضي ا عنه -** لأسامة بن زيد **– رضي ا عنه -** عندما بعثه في مستهل خلافته على رأس حملة إلى مشارف الشام، حيث أوصاه **((لا تخونوا، ولا تغدروا، ولا تغلوا، ولاتمثّلوا، ولا تقتلوا طفلاً، ولا شيخاً كبيراً، ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بـقرة ولا بعيراً، وسوف تمرون بأقوام فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم إليه ...)).** هل قرأ أحد في التاريخ الإنساني أن ملكاً أوصى رجاله بمثل هذه الوصية؟ انظر: د. عادل زيتون، الفتوحات العربية الإسلامية: قراءة تحليلية، مجلة العربي، العدد 516، تشرين الثاني/ نوفمبر 2001، ص84.

التنوع والتعدد العرقي والثقافي الذي كان يمكن أن يصبح عامل ثراء وتوازن حضاري بين مكوناته؛ تحول إلى عامل فرقةٍ وصراعٍ طويل المدى...[4]

ثانياً – الوجود العربي في الأقاليم الإفريقية

1 ـ العرب وشرق إفريقية:

أدى التاريخ دوره في تحديد موقف الفتوحات الإسلامية من الساحل الشرقي لإفريقية ودواخلها، إذْ لم تتوجه حملات محددة نحوه؛ وذلك لتأصل علاقة السلام بين سكان هذه المناطق والسواحل العربية، والطبيعة المحلية للدول والأمارات والتنظيمات السياسية القائمة في هذا الجزء من القارة؛ من أجل ذلك انتشر الإسلام بديمومةٍ وهدوءٍ متنامٍ حتى أوشك أن يكون الدين الأوحد في الإقليم كله[5].

تعد حضارة ساحل شرق إفريقية حضارة عربية وحضارة إسلامية، بحسبانها الإنتاج العقلي والمادي الذي أسهم في بنائه المسلمون من عرب وفرس وأفارقة وغيرهم منذ أن أصبح هذا الساحل في دار الإسلام إبان الموجة الأولى للفتوحات الإسلامية الكبرى، ويعد المؤرخون أن العصور الزاهرة في التاريخ القومي لساحل شرقي إفريقية هو تاريخها الإسلامي؛ حينما أسست الجماعات المهاجرة دولاً وحكوماتٍ إسلامية أسهمت إسهاماً إيجابياً في نقل الفكر والتراث الإسلامي إلى هذا الساحل، ومن ثم إلى الداخل، وظل العرب العنصر الفعال في هذه الدول الإسلامية[6].

2 ـ العرب ووسط إفريقية:

ظلت العلاقات العربية في هذا الجزء من القارة السمراء ((وسط إفريقية)) على مستوى الدولة والمجتمع والأفراد قلقة ومضطربة؛ وخاصة في القرون الخمسة الأخيرة ولكنها لم تصل إلى حد

4 - لمزيدٍ من التفصيل؛ انظر: د. محمود أحمد البيك، ((التنوع الثقافي وأثره على الوحدة الوطنية – دول غرب إفريقية نموذجاً))؛ دراسة مقدمة في ندوة الثقافة العربية الإفريقية في مواجهة التحديات الراهنة، مركز دراسات وبحوث الكتاب الأخضر، طرابلس، الطبعة الأولى، 2006م،ص 193- 195.

5 - ولمزيدٍ من التفصيل في هذا الشأن؛ انظر: د. الصادق إبراهيم البصير، الهوية العربية الإفريقية الشعب التشادي نموذجاً، ندوة الثقافة العربية الإفريقية في مواجهة التحديات الراهنة، الجزء الثاني، المركز العالمي لدراسات الكتاب الأخضر، الطبعة الأولى، 2006م، ص 329 وما بعدها. حسين معلوم، الإستراتيجية الإسرائيلية في إفريقية، مجلة الوحدة؛ المغرب، العدد 97 تشرين الأول /أكتوبر، 1992م، ص 59-62.

6- انظر: د. السري سيد أحمد العراقي، ((حضارة ساحل شرق إفريقية... نتاج الحضارات الإنسانية القديمة))، موقع شبكة الشاهد الإخبارية على الشابكة: http://arabic.alshahid.net/history-civilation/37561

العداء والحرب إلا مع التوسع الاستعماري في قلب إفريقية، ووصول الجيوش الغربية التي طبقت شعار الغرب الأثير (فرق تسد) بين مكونات تلك الشعوب؛ التي انقلب معظمها على عقيدته وتاريخه ولغته، وأصبحت في العقود الخمسة الأخيرة معظم أقاليم وسط إفريقية؛ لا تمت بصلة إلى تاريخها من حيث الدين واللغة، ولكنها ظلت محكومة بعوامل الانتماء الجغرافي، وإن حاولت التمرد على التاريخ؛ كما أنها ظلت محكومة بعوامل موضوعية وذاتية أخرى جعلت هذه المنطقة هي الأكثر فقراً، و الأكثر تهميشاً وربما الأكثر سوءاً في العالم كله...[7]

3 ـ العرب وغرب إفريقية:

كان الحضور العربي والإسلامي واضحاً وجلياً في غرب إفريقية؛ حيث نشطت الزوايا الدينية في نشر الإسلام، وكانت تقوم بأدوار مهمة في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، بل إنه في رحم تلك الزوايا نشأت دول عديدة استطاعت أن تحكم غرب إفريقية قروناً طويلة من الزمن؛ واستطاعت أن تبني مدنية عظيمة انطوت على جوانب كثيرة من التسامح بين الأديان والأعراف؛ مكن بعض هذه الدول من أن تؤثر في معظم غرب القارة الإفريقية، ولعلنا نذكر هنا (مملكة كانو الشهيرة)[8].

ومع وصول الرجل الأبيض إلى هذه المنطقة من إفريقية في ذروة المد الاستعماري العنصري في عهد ((استيراد العبيد)) كانت هذه المنطقة المقصد الأول في اصطياد مجموعات كاملة من قبائل تلك المناطق وسكانها الذين كانوا يدينون بالإسلام؛ حيث نُقلوا في ترحيل جماعي هو الأعنف والأقسى والأبشع في تاريخ الإنسانية كلها.

نخلص إلى القول: إن العلاقات العربية الإفريقية ظلت على الدوام تنبع من صميم رسالة الإسلام؛ إلا أن هذه الصورة تغيرت كثيراً في العصور الحديثة حينما تدخل الاستعمار الغربي الذي ضرب عرى التواصل بين العرب والأفارقة بتغيير معتقداتهم ولغاتهم، وتصوير العربي العدو النموذج للأفارقة

7 - لمزيدٍ من التفصيل؛ انظر: د. جمال زكريا قاسم، مرجع سابق، ص 65. صلاح الدين حافظ، مرجع سابق، 143 وما بعدها.

8 - لمزيدٍ من التفصيل؛ انظر: عبد العزيز الثعالبي، مرجع سابق، ص 29 وما بعدها. د. عبد ا عبد الرازق إبراهيم ود. شوقي الجمل، مرجع سابق، ص 29 ومابعدها.

السود، وأن العرب غزاة محتلون ينبغي طردهم إلى خارج حدود إفريقية السوداء، وللأسف إن هذا التوجه العنصري بطبيعته له كثير من المرددين والمؤمنين به سياسياً ثقافياً ...[9]

ثالثاً ـ الوجود العربي المعاصر في إفريقية:

إن البحث في هذا الموضوع يعيدنا إلى مرحلة الستينيات ـ من القرن الماضي ـ وإلى الجهود والتوجهات العربية نحو إفريقية آنذاك؛ وقد أثمرت تلك الجهود في منتصف السبعينيات عندما عملت السياسات العربية على تنمية علاقاتها مع الدول الإفريقية؛ وانعكس ذلك جلياً على مواقف معظم الدول الإفريقية من القضايا العربية، وفي القلب منها القضية الأم قضية فلسطين.

وتبلور ذلك منذ مؤتمر القمة الإفريقي السابع عام 1969م، الذي أدرج القضية الفلسطينية ـ أول مرة في جدول أعماله ـ كبندٍ قائمٍ بذاته، وليس ضمن موضوعات أخر؛ كما كانت إحدى نتائج حرب تشرين الأول/أكتوبر عام 1973م عودة الدول الإفريقية إلى التقارب مع العرب؛ وتأييدها للحق العربي وتجلى ذلك بقيام أغلبية الدول الإفريقية بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع " إسرائيل"؛ وتأييد منظمة الوحدة الإفريقية للحق العربي، وربط حركة التحرير الفلسطينية بحركات التحرر الإفريقية[10] .

واتخذ العرب من جانبهم في مؤتمر القمة العربي السادس ـ الذي عقد في الجزائر في 1973/11/26م

- مجموعة مهمة من القرارات؛ نتيجة لقطع معظم الدول الإفريقية علاقاتها الدبلوماسية مع "إسرائيل" كان من أهمها:
- تقديم الدعم الكامل للدول الإفريقية في كفاحها من أجل التحرر الوطني والتقدم الاقتصادي.
- دعم قرار منظمة الوحدة الإفريقية بتشكيل لجنة من سبع دول لتنظيم التعاون العربي الإفريقي.
- إنشاء المصرف العربي للتنمية في إفريقية ومقره الخرطوم؛ لتقديم الدعم الاقتصادي والمالي.

---

9 - في تموز/يوليو 2007م أخبرني أحد الأخوة العرب من البارزين في دولته التي أسهمت في وصول أحد الانقلابيين الأفارقة إلى حكم بلاد الأخير؛ أن هذا الحاكم **((الذي دخل قصر الرئاسة على دبابةٍ عربيةٍ..؟))** قال في خطابٍ سياسي له ـ بحضور محدثنا ـ **إن النضال الإفريقي مستمر حتى طرد آخر العرب من إفريقية كلها...**

10 - ولمزيدٍ من التفصيل في هذا الشأن؛ انظر: حسين معلوم، الإستراتيجية الإسرائيلية في إفريقية، مرجع سابق، ص 59-62.

- إنشاء إدارة للشؤون الإفريقية في الإدارة العامة للشؤون السياسية بجامعة الدول العربية[11].

المطلب الثاني

خصائص الوجود العربي في إفريقية

أولاً ـ صورة العرب في إفريقية:

لعل أبرز السمات التي يمكن تحديدها في العلاقات العربية بإفريقية عموماً وشرقها ـ على وجه الخصوص ـ كانت تتسم بالسلام والتواصل المدني، والعلاقات الحضارية الراقية، وما زال راسخاً في وجدان العرب والأفارقة البداية الأولى لهذه العلاقات، والمحطة الأهم فيها حيث الهجرة الأولى في تاريخ الإسلام؛ وحيث الموقف التاريخي للنجاشي ملك الحبشة.

ولكن هذه الصورة تعرضت لتشويه متعمد ـ على مدى القرون الخمسة الأخيرة ـ مع وصول الرجل الأبيض بثالوثه المعروف الجندي والمبشّر والتاجر؛ إذْ أدى كل منهم وظيفته على أكمل وجه؛ فأينعت أسوأ صورة للعلاقات بين العرب والأفارقة؛ لأن التشويه المتعمد لهذه العلاقات كان ضرورة ملحةً.. وللأسف إن مسعى الغرب في تخريب العلاقات العربية الإفريقية؛ قد حالفه النجاح واستمر في إنتاج مفاعيله؛ فزادت الفجوة بين العرب والأفارقة ووصلت إلى حد القطيعة والخصومة والعداء الذي استمر ـ على نحو ما ـ حتى يومنا هذا ...[12]

ثانياً ـ العرب ومشكلة الانتماء في إفريقية:

مما لاشك فيه؛ إن التداخل العربي الناجم عن تعدد الأعراق الذي تتسم به دول الجوار الإفريقي؛ وانتشار الجماعات العرقية على الحدود بين هذه الدول ووادي النيل وليبيا والمغرب العربي؛ قد نجم عنه بعض التوترات الفعلية أو المفتعلة التي استغلت من جانب هذا الطرف أو ذاك؛ للتدخل في الشؤون الداخلية واستعداء العالم الخارجي، وتعد قضية الطوارق نموذجاً لقضايا الانتشار والتفتت الذي أصاب العديد من الجماعات العرقية على امتداد القارة الإفريقية.

11 - انظر: المرجع السابق، ص 60-61.

12 - لمزيدٍ من التفصيل؛ انظر: د. جمال زكريا قاسم، مرجع سابق، ص 191. ود. محمد عبد الغني سعودي، قضايا إفريقية، سلسلة عالم المعرفة، العدد 34، تشرين الأول/أكتوبر 1980م، ص 49 وما بعدها.

"يشكل الطوارق المجموعة الأمازيغية الأكثر توغلاً في إفريقية جنوب الصحراء والأكثر انفصالاً عن السكان العرب، ومن المفارقة أنهم في أسلوب عيشهم ونمط حياتهم أقرب الناس إلى البدو العرب، ويطلق عليهم في الكتابات الأوروبية "الرجال الزرق"؛ ويفضل الطوارق أن يطلق عليهم اسم "إيماجغن" أو تماشق" وهما مرادفان لأمازيغ ومعناها الرجال الأحرار[13].

ولعل المتابع للشؤون الإفريقية يهون من أمر قضية الطوارق؛ لأن التحديات التي تواجه الهوية والثقافة في إفريقية أبعد وأعمق وأدهى؛ فهي تبدأ من التاريخ ولا تنتهي بالمناهج التعليمية الوافدة أو المستوردة أو المفروضة؛ فضلاً عن نمو أجيالٍ تكونت في ظل ثقافة المستعمر ولغته والاعتقاد بسمو اللغة الأجنبية على اللغة الأم؛ وهو أمر لم تنج منه معظم النخب الثقافية في بعض دول المغرب العربي؛ والحال أسوأ في دول وسط القارة وجنوبها حيث باتت هناك انقسامات شاقولية في التكوين الاجتماعي؛ بين الطبقات التي تملك الوفرة في العلم والثراء والمكانة، وبين السواد الأعظم الذي يقبع في قاعٍ عريضٍ لمجتمع مطحون، ويتقاطع هذا مع الفوارق الأفقية الراسخة أساساً في مجتمع قبلي النشأة والتكوين، وذي ثقافةٍ بالغة الخصوصية حتى في فهمه للدين؛ ولذلك يصعب أن نحلل مأساة القارة دون الوقوف على كل حالةٍ في كل دولةٍ على حدة[14]...

المطلب الثالث

إشكالية الدولة في الجوار الإفريقي

يحيط بالوطن العربي ثماني دول إفريقية هي: إثيوبيا وأوغندا وزائير وإفريقية الوسطى وتشاد والنيجر ومالي والسنغال؛ تشكل ـ معاً ـ الجوار الجغرافي المباشر،كما أنها تمثل المجتمعات والأمم والشعوب التي تعامل معها العرب وقدر لهم أن يستمروا معهم، هذه الدول لها عدد من الخصائص المشتركة وإن تفاوتت حدتها فيما بينها؛ ويمكن إجمالها فيما يأتي.

13- وقد درج المهتمون بالطوارق على كتابة اسمهم بالطاء وكان الأولى أن يكتب بالتاء، لأن اسمهم -بحسب بعض الباحثين- مأخوذ من كلمة "تاركة" وهو وادٍ في منطقة فزان بليبيا، والنسبة إليها "تاركي"، فالاسم مأخوذ من مكان بليبيا لا من اسم القائد المسلم طارق بن زياد. لمزيدٍ من التفصيل؛ انظر: سيدي أحمد ولد أحمد سالم، ((الطوارق أو الرجال الزرق الأوضاع والتوزيع الجغرافي))، المعرفة، موقع الجزيرة على الشابكة:
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/AE56F469-C235

14- لمزيدٍ من التفصيل في ظروف إفريقية الداخلية؛ انظر: دونالد ويدنر، تاريخ إفريقية جنوب الصحراء، ترجمة: د. راشد البراوي، مكتبة الوعي العربي، دون تاريخ، ص 38 وا بعدها.

أولاً ـ غياب مفهوم الدولة والدولة القومية في إفريقية:

تعاني دول الجوار الإفريقي للعرب ما تعانيه دول الجنوب من مشكلات متعلقة باستكمال بناء الدولة؛ أو تبني مشروعها السياسي فضلاً عن "ميزات" التخلف الاقتصادي والتنموي الشديد[15]؛ إذْ لم تتوافر لها نظم سياسية مستقرة وشرعية عبر مدة طويلة من الزمن، فضلاً عن معضلة الحدود الموروثة عن الاستعمار وتعميقها لظاهرة الاضطراب والتدخل بين الكيانات السياسية ((أي الدولة الإفريقية الحالية؟))[16]؛ وبلغت مشكلات البناء السياسي أوجها مع تواتر الانقلابات العسكرية فيها، وهيمنة حكومات الحزب الواحد[17].

اعتمدت العصب الحاكمة في إفريقية، خاصة العسكرية منها نظام الحزب الواحد، وعندما أرادت الدول الغربية إضفاء صبغة ليبرالية شكلية على الحكومات والاقتصاديات الإفريقية التابعة لها، طالبتها بالتعددية الحزبية، فتحول الحزب الواحد للعصابة الحاكمة إلى عدة أحزاب تابعة كلها لها؛ وإن أدتْ دور المعارضة في الظاهر حتى تكاثرت في بعضها الأحزاب مثل تكاثر الذباب في الصيف؛ دون أن يحدث أي تغيير في بنية العصابة نفسها، والصورة القريبة من ذلك ما كان في تشاد وأوغندا سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي، وكما هو الحال الكونغو ورواندا وساحل العاج حتى يومنا هذا[18].

ثانياً ـ دول تهيمن القبيلة فيها على الدولة:

"كان النظام السياسي للدول الإفريقية يستمد قوته من بنيته القبلية ومن معتقداتها الدينية ولاسيما تلك التي تعتنق الإسلام؛ لذا عملت القوى الاستعمارية على تفكيك البنية القبلية للدولة وهدم نظامها السياسي القبلي، واقتسام مناطقها بحيث يخضع كل قسم منها لإدارة استعمارية مختلفة، وهو مازالت تعبر عنه الحدود السياسية الحالية للدول الإفريقية التي تمثل إحدى مكونات الإرث الاستعماري

15- See: Waterbury. J & Richards. A , A political economy of the Middle East, A.U.C.P , 1991, P42-44.

16- See: CAMILLERI "J.A" & FALK Jim, THE END of sovereignty?, Edward Elgar, Vermont, USA, 1994, pp 141-142.

17- "Ending the one- party State", See: Shively "W.P", Power & Choice An Introduction to Political Science, 3ed edition, McGraw-HILL, INC, NewYork,USA, 1993, pp 141-142 .

18 - لمزيدٍ من التفصيل؛ انظر: د. عبد المنعم سعيد، العرب ودول الجوار الجغرافي، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت 1987، ص 35 – 41. ب. س. لويد، مرجع سابق، ص 124 وما بعدها. وانظر: فوزي منصور، ((الدولة الإفريقية والقبيلة وأحزاب الذباب))، مقال منشورة على موقع: http://www.facebook.com/topic.php ?

الواجب إزالتها والتخلص منها؛ وإنه لمن المؤسف حقاً أن نجد منظمة الوحدة الإفريقية ثم الاتحاد الإفريقي قد جعل كلاً منهما تلك الحدود الموروثة عن الاستعمار الأوروبي مقدسة لا يجوز المساس بها[19].

ولعله غني عن التذكير؛ إن التنظيم القبلي يقوم ـ قبل كل شيء ـ على القرابة وبشكل خاص على روابط خاصة من القرابة تدعى "أحادية النسب"؛ وهي تقوم في الوقت ذاته على التضامن والتنافس وفق مبدأ التعارض التكاملي "أنا ضد أخي، وأنا وأخي ضد ابن عمي، ونحن وأبناء عمنا ضد أهل الأرض أجمعين.."[20].

ثالثاً ـ مخاوف دول الجوار الإفريقي من تنامي الدور العربي:

مما لا شك فيه أن التعاون العربي الإفريقي كان موضع احترام وتقدير وتضحية في بعض دول الجوار الإفريقي، ولكن وفي الوقت نفسه وجد من ينظر إلى هذا التعاون بمنظار فيه كثير من التحفظ لأسباب كثيرة منها:

1- الخوف مما يمكن أن يترتب على هذا التعاون من تزايد الوجود الحضاري العربي وتعظيمه في كثير من المجتمعات الإفريقية التي توجد فيها أقليات عربية وإسلامية وخاصة في ضوء الاستعداد الكبير للتعريب بمفهومه الحضاري لدى معظم دول الجوار الإفريقي؛ إِذْ تعد اللغة العربية القاسم المشترك الأعظم بين معظم المكونات السكانية في دول الجوار الإفريقي بل إن اللغة العربية تعد من اللغات الرسمية في عدد من الدول.

---

19 - ويعرف هذا المبدأ باسم " مبدأ قدسية الحدود الإفريقية"، وتبنته الدول الإفريقية صراحةً في مؤتمر قمة منظمة الوحدة الإفريقية المنعقد بالقاهرة في 17-1964/7/20م؛ إنه من المؤسف حقاً أن يقر التنظيم الإقليمي الإفريقي هذا الأمر بالنسبة إلى الحدود؛ ولكنه ـ في حقيقة الأمر ـ وجد سنداً قضائياً دولياً مهماً بنى عليه موقفه؛ ولعلّ الذي يدعو إلى الأسى حقاً؛ أن يكون مصدر هذا السند فتوى لمحكمة العدل الدولية أحاطت بموجبها الحدود الموروثة عن حقبة الاستعمار بالقداسة؟! لمزيدٍ من التفصيل؛ انظر أستاذنا المرحوم أ. د. علي إبراهيم، الأشخاص الدولية مفهومها وأركانها ونظامها القانوني، دار النهضة العربية، 1999-2000م، ص360-361.

20- انظر: عبد الودود ولد الشيخ، ((القبيلة والدولة في إفريقية))، المركز الوطني للبحث العلمي باريس، نقلاً عن مركز الجزيرة للدراسات.

2- ارتباط دول الجوار الإفريقي بولاءٍ عجيبٍ للنظام الاستعمارية التي كانت قائمة بأكثر من ارتباطها، وولائها لدول الجوار العربي، وأكثر ما يتجلى هذا الولاء لدى النخب والتيارات المنتفعة من العلاقات بين دولة الاستعمار القديم والدولة الإفريقية الحديثة...

3- ما زالت النخب الإفريقية الحاكمة ترى ضمانها وأمانها في القوى الغربية؛ وقد أثبتت الأحداث صحة هذا القول في أمثلة كثيرة كان آخرها الانقلاب العسكري الذي وقع في إنجامينا عاصمة التشاد؛ حينما استولى الانقلابيون على أجزاء كبيرة من البلاد ومن العاصمة، وتناقلت وكالات الأنباء اختفاء الرئيس التشادي؛ ليعلن في اليوم التالي عن عودته إلى القصر الجمهوري؛ وقيل حينها: إن القوات الفرنسية تدخلت في أمر إعادته...

4- التوجس من الدور القيادي الذي قامت به الدول العربية (شمال إفريقية) في معارك التحرير والنماذج المميزة التي قدمتها؛ ومن ثَم القلق – غير المبرر – من فكرة القيادة العربية للقارة؛ وهي الفكرة التي تتوجس منها وتهابها بعض التيارات الحاكمة في دول الجوار الإقليمي ذات المطامع القومية في زعامة القارة أو جزء منها.

المبحث الثاني

أثر البيئة الدولية في أزمة المنظومة العربية الإفريقية

لماذا لم تنجح بلداننا العربية وجوارنا الإفريقي على مدى أكثر من خمسة عقود في فك الارتباط مع المستعمر السابق؟ لماذا أخفقت في تحقيق الاستقلال الأمثل لشعوبها؛ ولماذا أخفقت في بناء منظومة حقوق الإنسان؟[21] هل يعود ذلك إلى التآمر الدولي ((نظرية المؤامرة إياها))؟ أم إلى آليات الاستعمار الجديد؟ أم إلى استدعاء عودة الاستعمار القديم؟ هل حقاً أن لدى هذه المنظومة قابلية للاستعمار وشهية للتبعية ورغبةً في الاستجداء؟ هل هي عاجزةٌ حقاً عن إدراك مفهوم الحرية؛ فما إن استقلت دولها حتى استبد بعض أهلها ببعضهم، واستعبد بعضهم بعضاً؛ ووصل الأمر أن أعطى بعضهم لنفسه أكثر مما ادعى فرعون لنفسه؟!

إن دراسة البنى السياسية وأيديولوجيات الحكم في تلك الدول، تظهر أنها إما هي استمرار لهياكل الاستعمار السابق وأبنيته، أو هي مزج بينها وبين بعض البنى القديمة؛ ولذلك؛ وقعت المنظومة

21- لمزيدٍ من التفصيل؛ انظر: أزراج عمر، ((نظرية ما بعد الكولونيالية : المقاومات والنقد))، بحث منشور في موقع بلاغ على الشابكة في 2011/8/1م:http://www.balagh.com/malafat/yl1chzmr.htm

الإقليمية العربية الإفريقية ضحية الانتقائية حيناً، والبراغماتية السياسية حيناً آخر، وغدت العلاقات الدولية – بين مكوناتها - عاطلة ومتناقضة داخلياً؛ مما أدى إلى تركها عرضةً للاختراق الإقليمي والدولي؛ وأوجد بيئةً ملائمةً لإعادة إنتاج الاستعمار؛ كما رأينا – بإيجاز - في المطالب الثلاثة الآتية:

المطلب الأول

التهميش الدولي لإفريقية: القارة والدولة والإنسان

غني عن البيان؛ أن دول الجوار الإفريقي ليست من الدول المهمة إقليمياً؛ أي إنه لا يوجد بين هذه الدول دولة مهمة بمعيار القوة التقليدية المتعارف عليها بالنسبة إلى الفاعلين الرئيسين في النظام الإقليمي؛ سواء من حيث المساحة أو عدد السكان أو القوة العسكرية التقليدية؛ أو النووية أو القاعدة الصناعية أو الاقتصادية المؤثرة في النظام الاقتصادي العالمي، بيد أن ذلك لا ينفي أن بعضاً منها يشكل قوة إقليمية ذات تأثير وعلى وجه التحديد "إثيوبيا"؛ وتنبع الأهمية الإقليمية لهذه الدولة من حقيقة أنها تملك عدداً من عناصر القوة النسبية ((المساحة، والسكان، والموارد الاقتصادية؛ ومنابع النيل...)) تجعلها دولة مهمةً مقارنة بباقي دول الجوار الإفريقي.

تندرج دول الجوار الإفريقي جميعها في إطار مجموعة الدول المعروفة بدول العالم الثالث[22]؛ بل يمكن وضعها في إطار التسمية الذائعة في العلاقات الاقتصادية الدولية باسم العالم الرابع، لأنها مازالت غارقةً في أتون الفقر والجهل والتخلف والمرض والفساد؛ والأهم من ذلك أنها قد نمت سلبياً بمعنى انخفاض مستوى المعيشة فيها، فضلاً عن التدهور في الظروف الاقتصادية الذي وصل إلى حدود المجاعة في عدد كبير من هذه الدول، فضلاً عن تنامي تلك الآفات السياسية والمرضية والاجتماعية الخطيرة[23].

مع أن مبدأ المساواة في السيادة بين الدول هو ناظم رئيس في التنظيم الدولي المعاصر، بل يعد قطب الرحى الذي ترتكز عليه منظومة الأمم المتحدة؛ إذ إن شرط العضوية فيها نهوض السيادة؛ ولكن الحقيقة أن هذا المبدأ في التطبيق العملي ليس إلا قاعدة ثانوية تقتصر مراعاتها على احترام

22- See: Shively "W.P", op.cit, pp 37-39.

23 - لمزيدٍ من التفصيل؛ انظر: ب. س. لويد، ترجمة: شوقي جلال، إفريقية في عصر التحول الاجتماعي، سلسلة عالم المعرفة، العدد 28، نيسان/أبريل 1980م، ص 47 وما بعدها.

للشكليات التي لا أثر لها في صنع السياسة أو إدارة العلاقات الدولية[24]؛ فما زالت دول الجوار الإفريقي تعد دولاً تابعة للقوى الدولية العظمى من الناحية السياسية والعسكرية والاقتصادية؛ إذْ إن إثيوبيا كانت مرتبطة إيديولوجيا واستراتيجياً مع الاتحاد السوفييتي السابق، أما مالي والتشاد والسنغال وإفريقية الوسطى فهي مرتبطة بروابط أمنية مع فرنسا، بما يسمح لهذه الأخيرة بالتدخل العسكري عند اللزوم[25].

المطلب الثاني

تدخل "إسرائيل" في منظومة العلاقات الدولية العربية الإفريقية

إن اهتمامات "إسرائيل" بالقارة الإفريقية قديمة العهد وأهدافها كثيرة؛ منها تحييد الدول الإفريقية عن مناصرتها للعرب وتفهم قضيتهم وتأييدهم، ثم تحويلها إلى مناصرة لها، وكذلك محاولة فك العزلة الدولية التي كان تعيشها "إسرائيل" إبـان المقاطعة العربية الصارمة؛ ولكن الأمور تغيرت حتى وصلت علاقاتها مع بعض دول القارة إلى مرحلة متقدمةٍ من التعاون العسكري والاستراتيجي[26].

أولاً – التدخل "الإسرائيلي" في البينان الإقليمي لإفريقية حكومياً

استعان اليهود بالقوى الدولية الكبرى لضمان التفوق العسكري واستمراره أمام العرب؛ ليس فقط في المواجهة بين القوى الصهيونية والضعف العربي عبر مراحل تطور الصراع؛ بل أيضاً في المقدرة على المبادرة لأن المبادرة هي حجر الزاوية في الإستراتيجية الإسرائيلية؛ وهي تستند إلى أن "إسرائيل" لا يمكنها أن تكون في موقف رد الفعل إزاء الجانب العربي؛ لأن رد الفعل قد ينطوي على هزيمة أو تراجع، والمبادرة بهذا المعنى تنطوي على السعي إلى منع الخطر قبل وقوعه؛ وذلك من خلال منظورين محددين:

24- “Sovereign equality as a ‘Secondary rule’ of the international legal system”. See: ELIAS “O.A” & LIM “C.L”, the paradox of consensualism law, K.L.I, London 1998. P 240.

25- لعلنا شهود عيان للتدخل الفرنسي السافر في شؤون مالي وإفريقية الوسطى في السنوات الأخيرة 2010-2013؛ في التدخلات الغربية الحديثة؛ انظر: د. السيد فليفل، ((إفريقية ومطلع الألفية الثالثة: القضايا والآفاق))، المرجع السابق، ص 101-102.ولمزيدٍ من التفصيل تاريخ التدخل الغربي في شؤون إفريقية؛ انظر: صلاح الدين حافظ، صراع القوى العظمى على القرن الإفريقي، سلسلة عالم المعرفة، العدد 49، كانون الثاني/يناير1982م، ص 18 وما بعدها.

26 - د. عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية و الصهيونية، المجلد الثاني، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى 1999م، ص58.

أولهما ـ منظور الردع: بمعنى حمل العدو على الإحجام عن اتخاذ إجراءات عسكرية من خلال إبراز تكلفة ومخاطر أكبر وزناً من المكاسب المتوقعة لتلك الإجراءات[27].

ثانيهما ـ منظور الهجوم المسبق أو الضربة الوقائية أو الإجهاضية قبل أن يتمكن الخصم من شن هجومه؛ على أساس أن الهجوم هو أفضل وسائل الدفاع، وكان لهذا المبدأ رواجه طوال حقب الثمانينيات من القرن الماضي؛ عندما أعلن ((مبدأ ريغان *Regan Doctrine*)) المتعلق بالحرب الوقائية أو الدفاع الاستباقي[28].

ولعله غني عن البيان؛ أن الهاجس الأمني تصدر السياسة الصهيونية النشطة في إفريقية؛ وكان لها أهدافها الإستراتيجية ومازالت، وظل الالتفاف حول حوض النيل بنشاطات عسكرية وأمنية مكثفة أحد ملامح النشاط الصهيوني؛ لاحتواء دول حوض النيل من خارجه؛ لأن هذا الحوض يعد العمق الاستراتيجي لمصر، ويشكل نقطة التقاء نحو عشر دول إفريقية لها وزنها السياسي منفردة ومجتمعة؛ فضلاً عن مفردات أخر تميزت بها سياسة اليهود الصهاينة نحو إفريقية؛ تتعلق بقضايا المياه و قضايا اليهود الأفارقة وقضايا أخر؛ ظلت حاضرةً أبداً في أذهان صناع الصهيونية "العالمية" ومنظريها؛ أولئك الذين صاغوا مرتكزاتها على مثال الغرب الذي نهل بدوره من معين اليهودية...[29]

ثانياً – التدخل في بنية الدولة الإفريقية: تهجير الفلاشة *Transfer of the Falashas*.

تحتل مسألة تهجير اليهود إلى فلسطين المحور الرئيس الذي استندت إليه الحركة الصهيونية؛ في إطار جهودها السياسية لاختراق إفريقية والتمركز فيها عبر آليات متعددة؛ إن كان على المستوى الرسمي عبر التمثيل الدبلوماسي أو على الصعيد غير الحكومي عبر المنظمات الدولية غير الحكومية التي تتقنع عادة "بقناع إنساني" أو من خلال العلاقات مع النظم الرسمية عبر القنوات غير الرسمية؛

---

27 - انظر: حسين معلوم، ((الإستراتيجية الإسرائيلية في إفريقية))، مرجع سابق، ص 60-62.

28 - لمزيدٍ من التفصيل عن ((مبدأ ريغان Regan Doctrine))؛ انظر:

- TUCKER "L.B"&. Robert.W, "Reagan Foreign policy", Foreign Affairs, Vol. 68, №. 1, 1989, p 18.

29 - ((يلاحظ أن الأدبيات السياسـية الغربيـة، الصهيونيـة وغير الصهيونية، تستخدم كلمة «عالمي» بمعنى «غربي». ولعل هذا يعود إلى أن الإنسان الأبيض في الغرب في القرن التاسع عشر كان يتصور أنه مركز العالم وقمة رقيه، وأن الحضارات الأخرى حضارات متخلـفة ستتطور لتلحـق به وتصـل إلى النموذج الحضاري العالمي نفسه. ويلاحظ في كتابات هرتزل أنه حينمـا يتحدث عن ضـرورة إقامة المشـروع الصهيـوني "بضمان القانون الدولي العام"، فإن عبارة (القانون الدولي العام) تعني هنا (القانون الغربي). ولذا، والتزاماً بالدقة، يجب أن نتحدث عن (الصهيونية الغربية) أو عن (الصهيونية) وحسب دون وصفها ليكون مفهوماً أنها حركة غربية وليست عالمية)). انظر: د. عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد السادس، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى 1999م، ص 16-17.

كما كان عليه الحال في العلاقات مع السودان إبان حكم جعفر النميري؛ تلك العلاقات التي أسهمت في تهجير أعداد كبيرة من الإثيوبيين الذين قيل عنهم: إنهم يهود وسموا باسم (الفلاشة).[30]

حدث تحول في الموقف الصهيوني تجاه الفلاشة؛ ابتداء من عام 1973م، فقد أعلن الحاخام شلومو غورن أن أعضاء هذه الجماعة اليهودية هم في الواقع من أحفاد قبيلة دان، ومن ثم فهم يهود حقيقيون، وقد طبق عليهم قانون العودة، وبدأت عملية التهجير – بشكلٍ أولي - عام 1977، ثم وضع مخطط التهجير في أواخر سبعينيات القرن العشرين؛ ثم نفذ مخطط التهجير في عام 1984 على نطاق واسع فيما عرف باسم "عملية موسى" إذ نُقِلَ حوالي 12 ألف إثيوبي في جسر جوى سري عبر السودان (كان عدد المهجرين الإجمالي في هذه المدة 37,14)؛ وقد بلغت تكاليف "عملية موسى" مئة مليون دولار قامت جماعات يهودية أمريكية بتسديدها[31].

ثالثاً- تدخل "إسرائيل" في الصراعات الإثنية:

إذا استبعدنا حالة الفلاشة يمكننا القول: إن إفريقية غير العربية لم تعرف اليهود ولا اليهودية معرفةً تاريخيةً ومباشرةً؛ كمعرفتها بالإسلام والمسيحية إلا في حدود ضيقة ترجع لوجود أفراد وجاليات أجنبية دخلت القارة في ظل الاستعمار الغربي؛ إلا أن النظرة الإفريقية لليهود والصهيونية قد تبلورت من خلال ما وصل أهل القارة، أو تسرب إليهم من أقوال الآخرين أي الأمم الأخرى وعلى رأسهم الصهاينة المحدثون، ولعل إحدى المقولات التي حرص عليها هؤلاء؛ هي الحديث عن التاريخ وعن وجود وجوه شبه كبيرة بين تاريخ اليهود والأفارقة؛ لأن الاثنين قد تعرضا - بحسب تلك المقولات - لضروب من المهانة والاضطهاد التي لم يتعرض لها أي من شعوب العالم الأخرى.

لذلك ركز الصهاينة على دعم الحركة الانفصالية في جنوب السودان التي كانت تعرف باسم حركة "انيانيا"، ثم واصلوا دعمهم العسكري لما سمي ((جيش تحرير شعب السودان))، وظل هذا الدعم مستمراً طوال حياة زعيم الحركة التمرد ((جون قرنق)) واستمر مع خلفه ((سيلفا كير ميرديت))؛ ولا

30 - «الفلاشة» كلمة أمهرية تعنى «المنفيين»، كما أنها تعنى أيضاً «غريب الأطوار». وأصل الكلمة يعود إلى الجذر «فلاشا» فى اللغة الجعزية - لغة إثيوبيا الكلاسيكية وهى أيضاً لغة الكنيسة القبطية الإثيوبية - ويعنى «يهاجر» أو «يهيم على وجهه»؛ لمزيدٍ من التفصيل؛ انظر: د. عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية و الصهيونية، المجلد الثاني، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى 1999م، ص 171.

31- انظر: د. صباح كعدان، ((الوضع الراهن للعلاقات العربية – الإفريقية في المجال الاقتصادي والمالي))، مجلة الوحدة؛ المغرب، العدد 97 تشرين أول /أكتوبر، 1992م، ص 32 وما بعدها. وعبد الرحمن حمادي، ((جوانب من التعاون العربي الإفريقي وآفاقه المطلوبة))، مجلة الوحدة؛ المغرب، العدد 97 تشرين الأول /أكتوبر، 1992م، ص 46 وما بعدها.

شك أن تضافر الدعمين الغربي والصهيوني دفع السودان إلى الاعتراف بهذه الحركة المتمردة؛ فأصبحت شريكاً في حكم السودان، ثم في الحكم على مستقبل السودان؛ عبر الانفصال كخطوةٍ أولى...

الأمر بدوره أصبح محرضاً ومحركاً لمشاعر المكونات الأخرى في المجتمع السوداني؛ حتى وجدنا أن هناك العشرات من الحركات الداعية للحكم الذاتي أو للانفصال علانيةً، وأنها تسعى بما تستطيعه كلّه لاستدعاء التدخل الأجنبي؛ في محاولاتٍ ـ ليست سرية بل ـ مكشوفة، وربما تجلت أكثر ما تجلت في موضوع دارفور ,إذْ؛ أعلن ((عبد الواحد نور)) أحد أصحاب حركة التمرد المسماة "بالعدل والمساواة"؛ بأنهم على استعداد للاعتراف ب((إسرائيل)) وعلى اعتماد التبادل الدبلوماسي معها إن هم وصلوا إلى الحكم والانفصال[32].

أما في إريتريا التي كانت خاضعةً للاحتلال الإثيوبي التي قاد أبناؤها من العرب حركة تحرر طويلة المدى؛ وحظيت بالدعم المادي والمعنوي والشعبي من جماهير الأمة العربية[33]، بل حتى من بعض الأنظمة الرسمية فقد استطاع الاختراق الصهيوني أن يدخل إلى البناء الداخلي لحركات الكفاح المسلح الإريترية، إذْ انتهى الحال بقيادة هذا البلد بعد الاستقلال إلى التمرد على حقائق الجغرافية والتاريخ ومقتضيات الإقليمية؛ فلم تنضم اريتريا إلى جامعة الدول العربية، بل إن نظامها الحالي يشكك في عروبة هذا البلد أساساً.[34]

رابعاً-تدخل "إسرائيل" في المنظومات المتداخلة للمضائق والأنهار الدولية

طرحت الحركة الصهيونية منذ بداية التفكير في غزو فلسطين فكرة البحث عن موارد المياه اللازمة لتحويل الحلم إلى حقيقة؛ إذْ ظل البحر والنهر يشغلان الحيز الأكبر عند التفكير في إقامة وطن اليهود؛ ومنذ البداية كانت التطلعات متوجهةً إلى النيل والبحر الأحمر..

32- أعلن ((سيلفا كير)) ـ في تصريحٍ علني في 2010/10/20م ـ أن ((إسرائيل في حالة عداء وحرب مع الفلسطينيين و هذا الأمر لا يعني جنوب السودان؛ وبعد الانفصال تجلت حقيقة العلاقات العميقة مع "إسرائيل"...

33- لمزيدٍ من التفصيل؛ انظر: د. إجلال محمود رأفت ود. إبراهيم أحمد نصر الدين، القرن الإفريقي المتغيرات الداخلية والصراعات الدولية، دار النهضة العربية، 1985م، ص 124.

34 - **تعد إريتريا ـ بتقديرنا ـ دولةً عربيةً بتوافر المقومات التي تجعلها كذلك؛** من إرثٍ وتراثٍ وحقائق الأرض والإنسان؛ ولذلك فإن عدم انضمامها حتى الآن إلى جامعة الدول العربية؛ وهو موقف سياسي فرضته الظروف الدولية والإقليمية والداخلية غداة الاستقلال عن الحبشة؛ لايجعلها خارج نطاق التنظيم الإقليمي العربي، **ومن بابٍ أولى فإنها لن تخرج عن الدائرة الحضارية العربية التي تتسع إلى ما وراء إريتريا...**

1 - "إسرائيل" ومياه النيل:

مما لاشك فيه أن من أهم أهداف الكيان الصهيوني التوسعية هو الوصول إلى أحواض الأنهار العربية!!، ولذلك حاولت المشاركة مشاركة سياسية وفنية في تحريض دول الجوار الجغرافي للعرب على اللعب في هاجس الأمن المائي؛ بمواجهة الدول العربية المشاركة في أحواض الأنهار. خاصة إذا علمنا أن أكثر من 66 % من موارد المياه العربية تأتي من أراض غير عربية...[35]

وهنا تظهر أهمية وصية بن غوريون في الاهتمام بالبعد الثالث للصراع بين العرب و((إسرائيل)) وهي دول الجوار الاستراتيجي، ووضعها في أعلى سلم الأولويات ((الإسرائيلية)) في مواجهة العرب خاصة إيران، وتركيا ودول الجوار الإفريقي، وفي هذا الإطار أسرعت ((إسرائيل)) إلى إقامة أرفع درجات التعاون والتنسيق في مجال التكنولوجيا، والبحوث المائية مع الولايات المتحدة الأمريكية إلى جانب الاستمرار في التنسيق العسكري والسياسي؛ ولعله «من الملفت للنظر هنا أن دوائر البحث الإسرائيلية ولأسباب غير معلومة حتى الآن؛ ترى في نهر النيل المصدر الذي سيحل مشكلتها المائية في المستقبل؛ الأمر الذي يجعلها تولي عناية خاصة بكل من مصر وإثيوبيا في هذا المضمار؛ بل إنها ترى في نفسها أنها صاحبة دور أساسي بسبب امتلاكها تقنية عالية في مجال تكنولوجيا المياه لايملكها الآخرون»[36].

وكان السادات قد أعلن في أثناء زيارته لـ: حيفا فكرة أنه يعتزم توصيل مياه النيل التي تروي سيناء إلى صحراء النقب، وأوضح أن ذلك قد يحدث بعد عام 1980م عندما يتم الانتهاء من إنشاء السحارة تحت قناة السويس.ثم بادر ـ السادات مرة أخرى ـ بتعهدٍ جديدٍ بنقل مياه النيل إلى القدس فيما سمي بمشروع ((زمزم الجديد))؛ ليكون في متناول المترددين على المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة وكنسية القيامة وحائط البراق؛ وبإسهام من الشعب المصري وليكون تأييداً لمبادرة السلام[37]..!!!إلا إن كلاً من الفكرة والتعهد لم يصلا إلى حيز التنفيذ نتيجة للحملات الداخلية المعارضة وباعتقادنا فإنها لن تصل...

35 - لمزيدٍ من التفصيل؛ انظر: أ. د. علي إبراهيم، الأشخاص الدولية مفهومها وأركانها ونظامها القانوني، مرجع سابق، ص 308 وما بعدها.

36 - انظر: حسين معلوم، ((الإستراتيجية الإسرائيلية في إفريقية))، مرجع سابق، ص 60-62.

37 - لمزيدٍ من التفصيل؛ انظر: د. صباح كعدان، المرجع السابق، ص 32. وعبد الرحمن حمادي، المرجع السابق، ص 46 وما بعدها.

ولأن اليهود ـ قلما يصيبهم اليأس والإحباط إزاء مشروعاتهم ـ أعادوا الكرة من جديد؛ إذْ نشرت صحيفة معاريف في 27 / 9 / 1978م مشروع المهندس "اليشع كالي" الذي يعمل في شركة "تاحال" المنوط بها تخطيط المشاريع المائية منذ العام 1948م ودراستها؛ وقد جاء في المشروع:« إن الهدف هو نقل الماء بواسطة أنابيب تحت قناة السويس بجانب الإسماعيلية وفي الجانب الآخر تصب المياه في قناة مبطنة بالاسمنت المسلح تقع في الشمال الغربي من طريق العريش القنطرة؛ ومن هناك تسير بمحاذاة طريق غزة العريش حتى خان يونس؛ ومنه يتشعب مجرى المياه إلى جزءين يتجه الأول نحو قطاع غزة والآخر يتجه نحو أفاكيم وبئر السبع؛ وطرحت الفكرة مرة أخرى في مؤتمر ((آيزن همر)) الذي افتتح في جامعة تل أبيب عام 1986م للتعاون الاقتصادي في الشرق الأوسط؛ حيث قدمت فيه مجموعة من الأوراق تتحدث عن مشروعات نقل مياه النيل إلى قطاع غزة ومنطقة النقب[38].

2 ـ "إسرائيل" والبحـر الأحـمر:

بدأت إستراتيجية "إسرائيل" حيال البحر الأحمر منذ الاستيلاء على ميناء "أم الرشراش" المصري وتأسيس ميناء "إيلات" مكانه؛ بهدف تمكين الوجود الصهيوني في خليج العقبة وبهدف الاتّصال مع العالم الخارجي عن طريق البحر الأحمر؛[39] وكانت الخطوة التالية هي السيطرة على البحر الأحمر ذاته فبدأت باحتلال الأراضي العربية في الجزء الشّمالي من خليج العقبة، واحتلال الجزر الواقعة في الجزء الجنوبي من المنطقة لأن "إسرائيل"كانت تخشى أن يتمكّن العرب؛ من الحفاظ على البحر الأحمر بحيرةً عربيةً خالصةً كما كان عبر التاريخ؛ وهذه المخاوف الصهيونية تصاعدت إبان قيام العرب بإغلاق مضايق "تيران" و"باب المندب" في عامي 1967/1973م.

بدأت "إسرائيل" تؤسس وجودٍ لها على البحر الأحمر ـ خارج النطاق العربي ـ بغية استخدامه لتحقيق مصالحها العسكرية والاقتصادية والسياسية؛ وكانت "إثيوبيا" ـ المحتلّة لإريتريا حينذاك ـ محطّتها الأولى بحسبانها تمتلك النافذة الغربية من مدخل البحر الأحمر، ويمكن لهذا السبب وأسباب أخر؛ أن نفهم أسباب تأخّر استقلال هذا القطر؛ مع نضاله الدامي في سبيل نيل حريته؛ إذ بعد عقود

38 - انظر: إليشع كاي، المياه والسلام وجهة نظر إسرائيلية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، الطبعة الأولى، 1991م، بيروت، ص 49.

39 - لمزيدٍ من التفصيل عن مكانة البحر الأحمر في الصراع العربي الصهيوني وخاصةً مضائق تيران وصنافير؛ وانظر: د. عطية حسين أفندي، مجلس الأمن وأزمة الشرق الأوسط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986م، ص 65 وما بعدها.

طويلة من الكفاح المسلّح تحررت "إريتريا"، ولكن بعد أن تخلّت عن انتمائها الحضاري والإقليمي للأمة العربية...[40]

المطلب الثالث

التدخل الدولي في العلاقات العربية الإفريقية والمسؤولية الذاتية؟

إن التعاون العربي الإفريقي لم يستند في معظمه إلى أيديولوجية محددة أو فكر نابع من فلسفات الجانبين؛ وتطلعاتهما نحو المستقبل؛ بل ظل معلقاً في هواء المزاج السياسي للنظم الحاكمة عربياً أو إفريقية، وهو مزاج في كليهما متقلب لا قرار له، ولا شك أن غياب رؤية محددة تحكم آفاق التعاون، وغياب أي مشروع حقيقي له جعله دوماً هشاً وليناً في مواجهة التحديات.

أولاً – التدخل الدولي في العلاقات العربية الإفريقية:

مما لاشك فيه؛ أن الساحتين العربية والإفريقية عانتا من آثار انهيار القطبية الثنائية وتفرد المعسكر الغربي، وهي الآثار التي شملت مختلف الأصعدة:

ـ سياسياً: تصاعد المطالبة بالنموذج الغربي للديمقراطية وحقوق الإنسان.

ـ اقتصادياً: التشدد في تطبيق وصايا صندوق النقد الدولي وتحكم البنك الدولي وبرامجه، والتوظيف السياسي للمساعدات الغربية للدول العربية والإفريقية.

ـ اجتماعيا: تنامي المساعي الغربية لفرض نمط الحياة الغربية على المجتمعات العربية والإفريقية، من خلال توظيف منظمة الأمم المتحدة ومؤتمراتها المختلفة؛ على نحو ما كان في مؤتمرات القاهرة وبكين وريو دي جانيرو التي انتهت إلى مقررات خطيرة؛ يذهب بعضها إلى إقرار أنظمة اجتماعية بديلة أو فرضها تتعارض في مضامينها مع التراث والهوية لمعظم دول العالم وخاصة العرب وإفريقية.

---

40 - مع إن الذاكرة العربية والإسلامية تحمل ـ منذ فجر الإسلام ـ وداً موروثاً عن الحبشة وحكامها من لدن النجاشي؛ بيد أن المتأخرين من حكامها ضربوا بذاك الود عرض الحائط حتى وصل الأمر بالإمبراطور هيلا سلاسي أن يقول عبارته الشهيرة ـ عام 1957م ـ أمام مجلس الشيوخ الأمريكي: " **أعطوني المال فأنا أقوم بقتل المسلمين نيابةً عنكم**". انظر: أ. د. علي إبراهيم، الأشخاص الدولية مفهومها وأركانها ونظامها القانوني، مرجع سابق، ص 228.

من أجل ذلك؛ تنامت التداعيات على المحيط العربي الإفريقي مع انفراد الولايات المتحدة بالهيمنة على القرار في السياسة الدولية؛ عبر سعيها المحموم لبناء الإمبراطورية الجديدة لبسط سطوتها وإرادتها المنفردة على العالم؛ مع اختلاف درجة معاناة كل طرف وطبيعته، ولعله من أقسى الاختبارات التي طبقتها أمريكا كان احتلال أفغانستان وغزو العراق؛ عندما طبقت ((الميكيافلية الجديدة)) ومضت إلى عدوانها منتهكة الشرعة الدولية، وقواعد القانون الدولي القائم ومطبقةً ـ في الوقت نفسه ـ الفلسفة التي قام عليها؛ بحسبانها تقوم على التمييز والكبر والطغيان.

ثانياً - المسؤولية في تنامي أزمة العلاقات الدولية العربية الإفريقية:

يتحمل الجانب الإفريقي جزءاً من المسؤولية في إعاقة تقدم العلاقات العربية الإفريقية، ومرد ذلك خضوعه – غير المبرر أحياناً – لأجندات غربيةٍ أو "إسرائيلية"؛ وهو الأمر الذي انجلى عن ممارسات تمييزية ضد العرب في دول الجوار الإفريقي؛ لعل من أهم مظاهره:

1- السماح ل" إسرائيل" بامتلاك أسلحة نووية والحيلولة دون ما هو أقل من ذلك بالنسبة إلى الدول العربية بالسبل كلّها بما في ذلك الاحتلال العسكري.

2- تقديم الدعم المالي والفني لدعم قدرات " إسرائيل" العسكرية والرقابة الصارمة على النشاطات العسكرية كلّها للدول العربية ومساعيها للتعاون مع دول العالم في هذا المجال.

3 – الممارسات الأمريكية الانتقامية في الصومال، وتسخير المنظمة الدولية لتبرير تلك الممارسات التي توارت خلف القبعة الزرقاء (الأمم المتحدة)؛ فيما سمي بعملية إعادة الأمل *Restoring Hope* التي تورطت فيها القوات الدولية[41] بأفعالٍ لايدينها القانون فحسب وإنّما يندى لها الجبين.

ومما لاشك فيه؛ فإن الجانب العربي يتحمل جزءاً كبيراً من المسؤولية في إعاقة التقدم بالتعاون العربي الإفريقي، ولذلك أسبابه التي ينبغي معالجتها للوصول بهذا التعاون إلى حدود تكون ذات مردودية عالية في السياسة والاقتصاد ووحدة المسار والمصير وهي:

1- إن الأوضاع العربية الداخلية كانت لها آثار كبيرة في مسار العلاقات بين الطرفين؛ فقد كانت معظم الأقطار العربية الخليجية التي استند إليها التعاون العربي الإفريقي تفتقر إلى تجارب ذات شأن مع

41- See: Meagher ((R. F))," The UN family: challenges of law and development", HILJ, vol 35, № 2, 1995, pp 276-277.

دول الجوار الإفريقي؛ وإذا خضعت سياساتها تجاه دول الجوار لاعتبارات عامة مرتبطة بتفاعلات النظام الدولي والإقليمي.

2- تضارب السياسات العربية على صعيد القارة الأمر الذي أضعف كثيراً من قدرة الدول العربية على التأثير؛ وهو ما تفاقمت خطورته بعد انشقاق الصف العربي ذاته في أعقاب خروج مصر؛ وإبرامها ((معاهدة السلام))، ثم جاءت مفاوضات السلام العربية الإسرائيلية لتزيد الأمر سوءاً في التصورات الإفريقية اتجاه العرب.

3- تركيز المؤسسات والحكومات العربية على التعاون الرسمي مع الحكومات الإفريقية؛ وضعف الدور الشعبي الأمر الذي جعل العلاقات بين الطرفين في حدود ضيقة.

4- تتزايد الانتقادات الموجهة - على الصعيد الثقافي والتعليمي - إلى السياسات العربية تجاه البلدان الإفريقية؛ إذْ تكشف الدراسات المتخصصة مثالب عدة لعل من أبرزها؛ تركيز المنح الدراسية على العلوم والدراسات النظرية والدينية الشرعية؛ ولم يكن الاهتمام بإعداد أطر علمية إفريقية تواكب احتياجات هذه البلدان، وتسمح لأبنائها الدارسين في الدول العربية بتولي مناصب فاعلة و مؤثرة في بلدانهم التي يشغلها خريجو المدارس الغربية وجامعاتها؛ وكذلك عزلة الطلاب الأفارقة الوافدين واغترابهم لدى عودتهم إلى بلادهم؛ لشعورهم بالافتقار إلى الدور الفاعل في المجتمع[42].

الخاتمة

لا يستطيع أحد أن يلغي الحضور العربي في إفريقية، وما زال راسخاً في وجدان العرب والأفارقة البداية الأولى لهذا الحضور الذي اتسم بالسلام والتواصل المدني والعلاقات الحضارية الراقية، ولكن هذه الصورة تعرضت للتشويه المتعمد من قبل الغرب؛ ليظهر دور الرجل الأبيض بأنّه مخلّص الأفارقة، والحريص على إنقاذهم من استبداد العرب الذين شغلوا بالاستعمار وآثاره عن الدفاع واستعادة حقائق التاريخ والجغرافية.

ولكن الحقيقة التي لا يمكن إغفالها أن تضارب السياسات العربية تجاه دول الجوار الإفريقي؛ أضعف كثيراً من قدرة الدول العربية على التأثير في مواقف هذا الجوار؛ وهو ما تفاقمت خطورته بعد تكرار

42- See: AL-HAMAMY.Laila, The Assertion of Egyptian Identity, in ARAB SOCIETY Social Science Perspectives, Edited by: Hopkins "N.S" & Ibrahim "S.A", AUCP, Cairo, 1994, pp 58-59.

حوادث الانشقاق والتشظي داخل الصف العربي، مما زاد الأمر سوءاً في التصورات الإفريقية اتجاه العرب في ظل غياب تصور واضح لما يريده العرب من إفريقية.

أما تجربة الاتحاد الإفريقي فهي سابقة جديدة في تاريخ العلاقات الدولية العربية الإفريقية؛ أساسها إحلال مشروع أيديولوجي له جذوره وتاريخه في منظمة دولية إقليمية كانت قائمة بالفعل؛ فما زالت تجربةً على المحك ـ مع الإنجازات التي يتحدث الإعلام عنها ـ فإنه من السابق لأوانه الحديث عن تحولٍ جدي عميق في ذهنية التنظيم الإقليمي الإفريقي وآلياته...

وأخيراً...لابد من تدابير عملية لربط طرفي الصحراء التي لطالما تفاخرنا بها ـ بحسبانها ـ الصحراء العربية الكبرى؛ عبر الإفادة القصوى من تنمية مدن التماس مع الجوار الإفريقي ثقافياً واقتصادياً وإنسانياً؛ ولاسيما مع وجود جامعات واعدة وقريبة مثل جامعة أدرار بالجزائر وجامعة سبها في ليبيا، وكذلك تنمية الدور الإيجابي للمعاهد والزوايا بالتزامن مع تركيز المنح الدراسية على الدراسات التطبيقية والطبية والعلوم التقنية الحديثة التي تحتاج إليها تلك البلدان، من أجل إعداد أطر علمية إفريقية تواكب احتياجات بلدانها، مما يمكن الدارسين في الدول العربية من تولي مناصب فاعلة ومؤثرة في بلدانهم التي يستأثر بها خريجو المدارس الغربية وجامعاتها؛ وكذلك زيادة الدعم الاقتصادي المباشر لخطط التنمية، وبسخاءٍ حقيقي يجعل المقارنة بالمعونة الغربية مجدية، ومن ثم إعادة روابط التاريخ وإحياء أواصر القربى؛ ذلك كلّه في إطارٍ إنساني مباشر قوامه مكانة الجار وقيم الجوار...

مراجع الدراسة

أولاً – باللغة العربية:

ـ الكتب العربية:

- الصادق إبراهيم البصير، الهوية العربية الإفريقية الشعب التشادي نموذجاً، ندوة الثقافة العربية الإفريقية في مواجهة التحديات الراهنة، الجزء الثاني، المركز العالمي لدراسات الكتاب الأخضر، الطبعة الأولى، 2006م.
- جمال زكريا قاسم، الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1416هـ 1996م، الطبعة الثانية.
- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام،الجزء الثاني، الطبعة الثانية ـ طبع بإسهام من جامعة بغداد، 1413 هـ/ 1992م.
- صلاح الدين حافظ، صراع القوى العظمى على القرن الإفريقي، سلسلة عالم المعرفة، العدد 49، كانون الثاني/يناير1982م.
- عبد ا عبد الرازق إبراهيم ود. شوقي الجمل، تاريخ المسلمين في إفريقية ومشكلاتهم، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1996م.
- عبد العزيز الثعالبي، الإمبراطوريات الإسلامية بغرب إفريقية من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، جمع وتحقيق د. أحمد بن ميلاد و محمد إدريس، تقديم ومراجعة: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، 1410هـ 1990م.
- عبد المنعم سعيد، العرب ودول الجوار الجغرافي، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت 1987.
- عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الثاني، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى 1999م.
- عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد السادس، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى 1999م.

- عطية حسين أفندي، مجلس الأمن وأزمة الشرق الأوسط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986م.
- علي إبراهيم، الأشخاص الدولية مفهومها وأركانها ونظامها القانوني، دار النهضة العربية، 1999-2000م.
- محمد عبد الغني سعودي، قضايا إفريقية، سلسلة عالم المعرفة، العدد 34، تشرين الأول/أكتوبر 1980م.
- الكتب المترجمة:
- إليشعكاي، المياه والسلام وجهة نظر ((إسرائيلية))، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، الطبعة الأولى، 1991م، بيروت.
- ب. س. لويد، ترجمة: شوقي جلال، إفريقية في عصر التحول الاجتماعي، سلسلة عالم المعرفة، العدد 28، نيسان/أبريل 1980م.
- دونالد ويدنر، تاريخ إفريقية جنوب الصحراء، ترجمة: د. راشد البراوي، مكتبة الوعي العربي، دون تاريخ.
- البحوث والدراسات:
- أسامة عبد الرحمن النور، ((تمازج الثقافتين العربية والإفريقية – دراسة حالة: سودان وادي النيل))؛ دراسة مقدمة في ندوة الثقافة العربية الإفريقية في مواجهة التحديات الراهنة، منشورة في مجلدين – المجلد الأول؛ الطبعة الأولى، مركز دراسات وبحوث الكتاب الأخضر، طرابلس، 2006م.
- السيد فليفل، ((إفريقية ومطلع الألفية الثالثة: القضايا والآفاق))، في كتاب آفاق التحولات الدولية المعاصرة، مراجعة وتقديم: د. وليد عبد الحي، الطبعة العربية الأولى، دار الشروق، عمان، الأردن، 2002م.
- الصادق إبراهيم البصير، الهوية العربية الإفريقية الشعب التشادي نموذجاً، ندوة الثقافة العربية الإفريقية في مواجهة التحديات الراهنة، الجزء الثاني، المركز العالمي لدراسات الكتاب الأخضر، الطبعة الأولى، 2006م.

- حسين معلوم، ((الإستراتيجية الإسرائيلية في إفريقية))، مجلة الوحدة؛ المغرب، العدد 97 تشرين الأول /أكتوبر، 1992م.

- صباح كعدان، ((الوضع الراهن للعلاقات العربية – الإفريقية في المجال الاقتصادي والمالي))، مجلة الوحدة؛ المغرب، العدد 97 تشرين أول /أكتوبر، 1992م.

- عادل زيتون، ((الفتوحات العربية الإسلامية: قراءة تحليلية))، مجلة العربي، العدد 516، تشرين الثاني/ نوفمبر 2001م.

- عبد الرحمن حمادي، ((جوانب من التعاون العربي الإفريقي وآفاقه المطلوبة))، مجلة الوحدة؛ المغرب، العدد 97 تشرين أول /أكتوبر، 1992م.

ـ محمود أحمد البيك، ((التنوع الثقافي وأثره على الوحدة الوطنية – دول غرب إفريقية نموذجاً))؛ دراسة مقدمة في ندوة الثقافة العربية الإفريقية في مواجهة التحديات الراهنة، مركز دراسات وبحوث الكتاب الأخضر، طرابلس، الطبعة الأولى، 2006م.

ثانياً ـ باللغة الإنجليزية:

- **AL-HAMAMY**.Laila, The Assertion of Egyptian Identity, in ARAB SOCIETY Social Science Perspectives, Edited by: Hopkins "N.S" & Ibrahim "S.A", AUCP, Cairo, 1994.

- **CAMILLERI "J.A" & FALK Jim**, THE END of sovereignty?, Edward Elgar, Vermont, USA, 1994.

- **ELIAS "O.A" & LIM "C.L",** the paradox of consensualism law, K.L.I, London 1998.

- **Meagher ((R. F)),"** The UN family: challenges of law and development", HILJ, vol 35, № 2, 1995.

- **Shively "W.P",** Power & Choice An Introduction to Political Science, 3ed edition, McGraw-HILL,INC, NewYork,USA, 1993.

- **TUCKER "L.B"&. Robert.W**, "Reagan Foreign policy", Foreign Affairs, Vol. 68, №. 1, 1989.

- **Waterbury. J & Richards. A** , A political economy of the Middle East, A.U.C.P , 1991.

ثالثاً ـ مواقع على الشابكة:

ـ أحمد ولد أحمد سالم، ((الطوارق أو الرجال الزرق الأوضاع والتوزيع الجغرافي))، المعرفة، موقع الجزيرة على الشابكة:http://www.aljazeera.net/NR/exeres/AE56F469-C235

- السري سيد أحمد العراقي، ((حضارة ساحل شرق إفريقية... نتاج الحضارات الإنسانية القديمة))، موقع شبكة الشاهد الإخبارية على الشابكة:

http://arabic.alshahid.net/history-civilation/37561

- فوزي منصور، ((الدولة الإفريقية والقبيلة وأحزاب الذباب))، مقال منشورة على موقع :

http://www.facebook.com/topic.php?uid=43863521285&topic

- عبد الودود ولد الشيخ، ((القبيلة والدولة في إفريقية))، المركز الوطني للبحث العلمي باريس، نقلاً عن مركز الجزيرة للدراسات.

تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق 2014/5/26.